حوار العدد:

النحو العربي والاستشراق

حوار مع الأستاذ الدكتور منتصر أمين عبد الرحيم

مدرّس اللسانيات

بكلية التربية والآداب – جامعة الطائف – المملكة العربية السعودية

أجرى الحوار الدكتور خالد اليعبودي

السؤال الأول (1): يودّ قراء مصطلحيات أن يطلعوا -في سياق احتكاككم بكتابات المستشرقين في المجال اللغوي- على أشهر من درس قضايا النحو العربي من هؤلاء المستشرقين وطبيعة كتاباتهم في هذا المجال.

الإجابة:

في البداية دعني أعبر لكم عن سعادتي بإجراء هذا الحوار معكم ومع قراء مجلتكم الراقية "مصطلحيات" داعيا الله عزَّ وجلَّ أن تنال ما تستحقه من الازدهار والدعم.

وبعد فإنني أظن أن استحضار ما تم إنجازه في الدرس الاستشراقي لاسيما في شقه المتعلق بقضايا النحو العربي يجعلنا مقتنعين بأن الشهرة في هذا المجال تتأسس -أولًا وقبل كل شيء- على مواقف هذا المستشرق أو ذاك من قضايا محورية تمس طبيعة النحو العربي والأسس التي قام عليها وتاريخه وعلاقاته، والحقيقة أن ثمة عددا كبيرا من المؤلفات الاستشراقية التي تناولت مثل هذه القضايا بصورة أكبر موضوعية من غيرها، والموضوعية هنا ليست مرادفة للدفاع عن التراث النحوي العربي بقدر ما هي دليل على

التمسك بالإطار المنهجي السليم في مناقشة قضاياه لاسيما في الفترات التي تعد غامضة في تاريخ هذا العلم، وربما يتوقع القارئ الكريم أن أبدأ الإجابة هنا باسم "ادلبار مركس A. Merx" أو "برجشتراسر G. Bergsträsser " أو "بركلمان C. Brockelmann " أو "فوك J. Fück" أو غيرهم، ولكني أجد لدي رغبة في طرح اسم مهم من أعلام الاستشراق ألا وهو "مايكل كارتر M. Carter"، ربما تتجلى أسباب هذه الرغبة – أولا - في إلحاحه الشديد في أكثر من موضع من بحوثه ودراساته المتعددة على ضرورة مقاربة التفكير النحوي العربي في إطار ذلك المناخ العلمي والثقافي الذي احتضن نشأة هذا العلم وأحاط بتطوره لاسيما المقاربات الخاصة بمصطلحات هذا العلم، ومن دراساته في هذا المضمار كتاب (سيبويه صانع الحضارة العربية) وأطروحة الدكتوراه خاصته التي دارت حول (أسس التحليل النحوي لدى سيبويه) و – ثانيا - محاولاته المستمرة الربط بين المنجز النحوي العربي وبعض الأسس التي تطرحها اللسانيات الغربية مع وعيه الشديد بمحاذير ربط منجزين حضاريين لا تجمع بينهما علاقات تاريخية ثابتة، ولكن هذه المحاولات لها جدواها ومردودها على صعيد وضع جهود النحاة العرب على الخارطة التاريخية للتفكير اللساني بعد أن تم إقصاؤها لقرون عديدة، وأسبق دراسات كارتر بالذكر في هذا المسار دراسة بعنوان (نحوي عربي من القرن الثامن الميلادي – مساهمة في تاريخ اللسانيات) وهي الدراسة التي ترجمها الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، وقد عدلها كارتر في دراسة بعنوان (سيبويه واللسانيات المعاصرة) وقمت بترجمتها وستصدر قريبا بحول الله، هذا غير إشارات كثيرة تجدها هنا وهناك في مجموعة من مقالاته و- لعل السبب الثالث وراء ذكر جهود كارتر على وجه الخصوص يكمن في توصله بمجموعة من النتائج المهمة في سياق دفاعه عن المنجز النحوي العربي ضد شبهات التأثير وتفنيده العلمي للأسس التي قامت عليها انظر على سبيل المثال بحثه (أصول/ جذور النحو العربي) وقد ترجمها الدكتور عبد المنعم السيد جدامي والدكتور محمود مسعود من جامعة المنيا. ودعني هنا أنوه بجهد الدكتور جدامي في دراسة جهود كارتر فيما يتعلق بأصالة النحو العربي والعلاقة بين سيبويه والنحاة الأوائل ناهيك بترجمته عدداً غير قليل من أعماله المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية، وقد شاركت سعادته بعض هذه الترجمات التي نشرت في كتاب "دراسات استشراقية حول التراث النحوي العربي".

الشخصية الثانية التي أود ذكرها هنا هي شخصية المستشرق الفرنسي جيرارد تروبو G. Troupeau، وله العديد من الدراسات في سياق الدفاع عن أصالة النحو العربي نشر منها بالعربية (نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه) في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، وفيها ناقش أطروحة مركس فيما يتعلق بتأثير الفلسفة اليونانية والمنطق

في نشأة النحو العربي، غير دراسات أخرى بالفرنسية تناولت هذا الموضوع نفسه منها (منطق ابن المقفع وأصول النحو العربي) تناول فيها المصطلحات النحوية واللغوية الواردة في ترجمات ابن المقفع وأرسطو ومقارنتها بمثيلتها عند سيبويه، ولعل نتيجة كل هذه البحوث تقول باستحالة نقل التراث النحوي العربي ممثلا في كتاب سيبويه لمصطلحات لغوية ونحوية من الفلسفة اليونانية بسبب تباعد المفاهيم التي تدل عليها هذه المصطلحات في النظامين اليوناني والعربي، ولعل البحث المصطلحي النحوي من أولويات اهتمام تروبو ويدلك على هذا بحثه (كتاب في تحديد المصطلحات النحوية لأحمد بن هبة الله الجبراني (ت 668ه)، ولكن المهم هنا أنه لا يذكر تروبو إلا وذكر معه معجمه المفهرس للمصطلحات الواردة في كتاب سيبويه والذي اهتم خلاله بأنواع مختلفة من المصطلحات، ورغم مجموعة من الملحوظات بشأن هذا المعجم سيظل من أهم ما أنجز في إطار فهرسة المصطلحات النحوية العربية، وقد تلا هذا الفهرس فهرس مهم آخر قدمه نفتالي كينبرج N. Kinberg حول المصطلحات اللغوية والنحوية في كتاب معاني القرآن الكريم للفراء، وقد قدمت ترجمة لمقدمته ظهر من خلالها مدى اهتمام كينبرج بطبيعة المصطلحات النحوية لدى الفراء ومشكلاتها وكشف من خلالها طبيعة العلاقة التي تجمع بين الفراء والمدرسة البصرية والكوفية على السواء، وهذا له صلة كبيرة بالخلاف بين المستشرقين حول طبيعة المدرستين وعلاقتهما؛ بعضهما ببعض وبالتراث النحوي عامة، ولكن هذا يحتاج إلى شرح طويل، وما أريد قوله هنا إن الاهتمام بوضع فهارس للمصطلحات النحوية الواردة في التراث العربي كانت دعوة مهمة من الدعوات التي رددها المستشرق الهولندي كيس فرستيج C. H. M. Versteegh موضحا أهميتها في التعريف بتاريخ النحو العربي وتطور جهازه المصطلحي.

السؤال(2): هل يمكن التأكيد على أن المستشرقين ليسوا في كفة واحدة، وإنما تعددت مواقفهم من مجمل التراث العربي بين من دافع على فرضية التبعية، ومن دافع عن فرضية الأصالة؟ وهل بالإمكان أن نجد الفرضيتين معا لدى المستشرق ذاته؟ في حالة مراجعة الذات على سبيل المثال؟

الإجابة:

إن القضية هنا ليست "التبعية" محورا أساسيا لها؛ لأن التبعية ربما تدل في أحايين كثيرة على المطابقة أو وقع الحافر على الحافر، ولكن مدار الأمر هنا على "التأثير والتأثر" في ظل مناخ ودي بين ثقافتين فأنا أزعم أن الصراع بين ثقافتين لا تنشأ عنه إلا التبعية أو شكل من أشكالها بالنظر إلى تفوق واحدة دون الأخرى أو رفض تام متبادل لتراث هاتين الثقافتين، فإذا كان نظام اللغة العربية يختلف عن نظام اللاتينية أو اليونانية فإن هذا الاختلاف سينعكس على طبيعة المقاربة

النحوية للغتين اللهم إلا في بعض العموميات التي يصطلح عليها بعض اللسانيين بـ"العموميات المطلقة"، وقصة "التأثر" هنا؛ أي تأثر النحو العربي بالفلسفة اليونانية بدأت قبل "مركس" وإن كان هو صاحب الحق التاريخي في تزعمها، ولكن ما تم طرحه من قبل "مركس" 1889 لا يتعدى برأيي طرح بعض المصطلحات المشابهة التي تُوصِّف جانبًا ضئيلًا من مفردات تلك العمومية المطلقة وعناصرها، فأغلبها متعلق بأقسام الكلام أو بأمور بدهية لا يشكل فيها الاصطلاح مزية أو تفوقًا كالتفريق بين المؤنث والمذكر، والرأي عند "كيس فرستيج" - وهو من أزعم أن دراساته المتنوعة لطبيعة النحو العربي ومصطلحاته بشكل خاص تمثل محورا أساسيا في الإجابة عن سؤالكم – أن ثمة ثلاثة تفسيرات لتطور المصطلحات اللغوية والنحوية (1993، 20-21) [الأول]: أن تنشأ هذه المصطلحات عن كلمات اللغة الطبيعية ثم يتم تخصيصها من قبل النحاة، [الثاني]: أن تتم الاستعانة بنموذج مختلف في اقتراض أو نسخ مصطلحاته سيما إذا كان هذا النموذج ينتمي إلى علم من العلوم السابقة في إطار الثقافة نفسها، ومثال هذا استعانة النحو اليوناني بمصطلحات من علم الطب اليوناني، التفسير [الثالث] هو أن يتم تأسيس كامل النظام المصطلحي بالاعتماد على تراث أجنبي مختلف، ومثال هذا استعانة الأرمن والسريان بترجمة كتاب "دينسيوس ثراكس" وبالجهاز المصطلحي الذي تضمنته هذه الترجمة، أو استعانة أغلب الأنحاء الغربية بمصطلحات التراث اليوناني. وأنا أعتقد أن التفسير الأول والثاني مناسبين هنا في مقاربة طبيعة المصطلحات النحوية العربية، ولكن قبل بيان هذا دعني أرجع إلى سؤالكم فأقول: هناك من المستشرقين من تجد دراساته تسير على قول ثابت بتأثر النحو العربي بالفلسفة اليونانية أو بالنحو اليوناني أو السرياني أو بأي تراث غير عربي أيًا كانت صفة هذا التراث، والأمثلة على أرباب هذا التيار كثيرة، منهم جولدزيهر I. Goldziher وقويدي I. Guidi ومركس A. Merx وطلمون R. Talmon وغيرهم. وهناك من تجد دراساته تسير أيضا مسارا ثابتا في الدفاع عن أصالة التراث النحوي العربي، ومثال هذا الفريق "رينان E. Rénan" وصديقكم "ماسينون L. Massignon" و"مايكل كارتر" و"جيرارد تروبو" ضمن آخرين. أما التيار الثالث - في إطار ما ألمحتم إليه بـ"مراجعة الذات" - فتمثله كتابات "كيس فرستيج"، ففي البداية كان مقتنعا بفكرة التأثر، ولكنه بخلاف "مركس" ظن أن منفذ هذا التأثر ليس الفلسفة اليونانية أو المنطق اليوناني بل النحو اليوناني، وعلى مستوى التأريخ حاول فرستيج إثبات مجموعة من الصلات التاريخية التي تربط بين النحو اليوناني والبيئة العلمية العربية، وعلى مستوى التحليل دافع عن مجموعة من التشابهات بين مصطلحات هذين النحوين، وخلال مناقشته كان فرستيج يؤكد على انتقال تأثير النحو اليوناني إلى النحو العربي عبر وسيط سرياني، وعبر مجموعة لاحقة من المقالات حاول تأكيد هذا التأثر من خلال مناقشة بعض المصطلحات والمفاهيم المهمة على رأسها مفهوم "القياس"، ثم في مرحلة ثانية بدأ فرستيج بحث العلاقة بين التفاسير القرآنية الباكرة والنحو العربي، فدرس علاقة تفسير مقاتل بن سليمان البلخي (ت 150ه) والنحو الكوفي مؤكدا على

علاقة قوية بين مجموعة من المصطلحات الواردة في هذا التفسير ونحاة الكوفة الأوائل، وأنت تعلم أن التفاسير القرآنية تجد فيها بعض الكلمات الأساسية في التفسير مثل (استفهم/ نعت/ استأنف/ استثنى/ جحد/ تعجب/ خبر وغيرها) والمفترض هنا أن المصطلحات الفنية الواردة في النحو العربي تطورت عن مثل هذه الكلمات وهو التفسير الأول لتطور المصطلحات النحوية الذي اقتبسته عن فرستيج سابقا، ثم في مرحلة تالية وبعد توافر عدد غير قليل من التفاسير مثل تفسير محمد الكلبي أصدر فرستيج كتابه (Arabic Grammar and Qur'anic Exegesis in Early Islam النحو العربي والتفسير القرآني في صدر الإسلام) نفى من خلاله إمكانية قبول أفكار مركس عن تأثير الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني في النحو العربي بصورة مؤكدة، فكثير من مصطلحات النحو العربي الكوفي (والبصري على خلاف) مصدرها تلك التفاسير، وإذا كان فرستيج صاحب الفكرة القائلة بتأثير النحو اليوناني فاستمع إلى نتيجته في هذا الكتاب يقول: "بما أن هذا النوع من الاحتكاك (أي بين الاتجاه الهيليني/اليوناني والنحو العربي) قد تم دون دعم من الوثائق المكتوبة فسوف يبقى مسألة تأمل في الطريقة التي تأثرت بها بدايات الدراسة اللغوية العربية بالنموذج اليوناني" (فرستيج 1993،ص 200)، أما بالنسبة إلى التفسير الثاني من تفسيرات تطور مصطلحات النحو العربي وهو الاستعانة بمصطلحات علم من علوم الثقافة نفسها فستجد أن كارتر كان قد أكد على تأثر سيبويه بعلم الفقه العربي وهذا ما يقر به فرستيج قائلا: " إن التشابه بين الفقه والنحو موجود بصورة مؤكدة" (السابق ص205)، والخلاصة أن فرستيج يمثل نموذجا مهما من الموضوعية ومراجعة الذات في طرح الآراء ومناقشتها في قضية مهمة من قضايا تاريخ النحو العربي وتطوره، ولكنه ما يزال يتعجب من تلك الصورة التي تحلى بها كتاب سيبويه دون مثال سابق في التراث العربي.

سؤال 3: في نظركم من هم المستشرقون الذين أبدوا اهتماما بالغا بالتراث اللغوي عامة والنحوي خاصة: الأنجليز؟ أم الفرنسيون؟ أم الألمان؟ أم الهولنديون؟ أم أنهم جميعا على قدم المساواة في اهتمامهم بالتراث النحوي العربي؟

الإجابة:

الحقيقة ليست لدي إجابة مباشرة عن هذا السؤال، فإذا قلتُ: إن الألمان من أكثر المستشرقين المهتمين بالتراث اللغوي العربي وقدمت أسماء ودلائل كثيرة (من مؤسسات ومؤتمرات ومجلات علمية ما زالت تنشر حتى الآن) تؤكد على استمرار هذا الاهتمام، فلن تكون هذه الإجابة مقبولة بالنسبة إلي أو إلى بعض القراء، ربما يجدها البعض الآخر صحيحة، فأنا أعتقد أن تصنيف الاستشراق على هذه الصورة قد لا يكون مجديا في ظل تحديد جغرافي ثابت، ويقف وراء هذا التردد في قبول إجابة وحيدة عن هذا السؤال ربما تصور معين لطبيعة الاستشراق وعلاقاته بل وموقفنا العام من معالجته لقضايا معينة أو

طريقة هذه المعالجة، فالاستشراق ليس مجالا بحثيا قائما برأسه وليس منفصلا بحال من الأحوال عن التيارات اللسانية المختلفة التي مر بها الغرب؛ ومن ثم فالإجابة التي يجب أن تكون لابد أن تقوم على – أولا - جرد شامل لسمات ما تم إنجازه من دراسات استشراقية مختلفة بشأن الثقافة العربية ومجالاته المتنوعة، و- ثانيا- بيان مدى نجاحها في إعادة رسم صورة واضحة عن طبيعة التراث اللغوي العربي وخصوصيته وعلاقته الحقيقية بالنتاج اللغوي في ثقافات مختلفة وتصدير هذه الصورة إلى المتلقي - الغربي والشرقي - بطريقة موضوعية، و-ثالثا- تقييم واقع الأعمال الاستشراقية في ظل ارتباطها بدواعي البحث اللساني المعاصر وتدقيق نتائجها على ضوء فهم واضح لطبيعة القضايا اللغوية والنحوية المطروحة، وهذا يتطلب منا أفرادا ومؤسسات مزيدا من الجهد والاهتمام.

سؤال 4: هل بإمكان اللسانيات العربية في أبعادها التأريخية (في اهتمامها بالتأريخ للمحطات البارزة في التراث النحوي العربي) والتوصيفية (في اهتمامها بدراسة بنيات العربية على مستويات لغوية) أن تستفيد من منجزات المستشرقين في دراستهم للنحو العربي؟ أم أن دراسات هؤلاء ومناهجهم لا تحمل جديدا بالنظر إلى ما كُتب قديما وحديثا في المجال؟

الإجابة:

للإجابة عن هذا السؤال المهم حقيقة دعني أحيل القارئ الكريم إلى مثالين تتجلى لنا من خلالهما أهمية الإفادة من دراسات المستشرقين على المستويين التاريخي والوصفي، الأول: يتمثل في أعمال أحد المؤتمرات الأخيرة الذي أقيم في باريس في 23 – 24 من شهر أكتوبر 2013م بعنوان (تطور تراث: الاستمرارية والتغير) وقد ضم مجموعة مهمة من الأسماء الاستشراقية منها جورجينا أيوب G. Ayoub وأندريه ميكال A. Miquel ومايكل كارتر M. Carter وكيس فرستيج C. H. M. Versteegh وأري لافين A. Levin وجوزيف ديشي J. Dichy بالإضافة إلى عدد كبير من المهتمين بالتراث اللغوي العربي منهم الدكتور رمزي بعلبكي وزينب طه وآخرين، ولعل السبب الذي يدعوني إلى التنويه بهذا المؤتمر يكمن في طبيعة العناوين المقدمة والقضايا التي تم تباحثها، فمنها ما تعلق بالجانب الدلالي وكيفية توظيفه في إطار التراث النحوي العربي، ومنها ما تعلق بتطور نظرية التكافؤ في التراث النحوي العربي، وسمات النحو العربي التعليمي، ونظرية التقدير، وتطور المعجمية العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، والعلاقة بين التراثين النحوي والمعجمي، بالإضافة إلى بحث عدد من المصطلحات والمفاهيم النحوية العربية المهمة منها: "الفعل" و"ما لا ينصرف" و"التخصيص" و"التحذير وعلاقته بالأمر والنهي" و"الحال المقدرة" و"السماع والحدس".

إن هذه البحوث المقدمة لها أهميتها التي يمكن لنا أن نوزعها على محورين: الأول يتعلق ببيان خصوصية التراث اللغوي والتأكيد على انسجام مفرداته وترابط علومه المختلفة، والثاني يتصل بعلاقة هذا التراث باللسانيات المعاصرة. المثال الثاني: كتاب "الكلمة في اللغة العربية The Word in Arabic" الصادر عن دار Brill 2011م، من إعداد G. Lancioni و L. Bettini، وقد ضم أربعة أقسام،

- القسم الأول: الكلمة في التراث اللغوي العربي، تناولت بحوثه (مفهوم الكلمة في التراث النحوي القديم – لأري لافين A. Levin)، و(ما الكلمة عند رضي الدين الاستراباذي؟- لبيار لارشيه P. Larcher) – و(تعريف الكلمة في التراث النحوي العربي – ليان باترك جيوم Jean-Patrick Guillaume) و(الحذف في التفكير اللغوي العربي من القرن الثامن إلى العاشر – لكرستينا سليماندو C. Solimando).
- القسم الثاني: الكلمة في التراث البلاغي العربي، تناولت بحوثه (الكلمة في التفكير اللغوي عند الجرجاني – لأنتونيلا غريستي A. Ghersetti) و(اللفظ والمعنى: بعض مظاهر العلاقة بينهما لدى البلاغيين- لليديا بتني L. Bettini)
- القسم الثالث: الكلمة العربية في النظرية اللسانية المعاصرة، وتتناول بحوثه (مستويات تحليل الكلمة في العربية – لجورج بوهاز G. Bohas) و(الاستخلاص الأوتوماتي لحروف الجر من مدونة النصوص العربية الفصحى المكتوبة – لجوليانو لانشيوني G. Lancioni)
- والقسم الرابع والأخير: الكلمة العربية في سياق الاحتكاك اللغوي، وتتناول بحوثه (الاقتراض الخفيف والثقيل للأفعال العربية – لكيس فرستيج K. Versteegh) و(عندما تتردد العربية في كلمات لغة أفريقية – لفرانسيسكو زابا F. Zappa)

ومن خلال هذه الأمثلة والعناوين وطبيعة المستويات البحثية التي تتوزع عليها يمكنني القول إن الدرس الاستشراقي اليوم درس لا غنى عنه على مستوى الوصف والتأريخ ويمكن الإفادة منه في فهم كثير من قضايا التراث اللغوي العربي من ناحية وفي وضع هذه القضايا على صفحة البحث اللساني الحديث من ناحية أخرى.

سؤال 5: كيف تنظرون إلى واقع ترجمة أعمال المستشرقين اللغوية إلى اللغة العربية؟ وكيف السبيل إلى زيادة الاهتمام بدراسة الآخر للذات؟

الإجابة:

اسمح لي أخي المبجل أن أجيب عن هذا بمثال واقعي تناقشته من قبل مع الدكتور جدامي ونحن نضع خطة كتاب "دراسات استشراقية حول التراث النحوي العربي"، في فترة

محددة كان المستشرق الهولندي "كيس فرستيج" مقتنعا تماما بتأثير خارجي مارس سلطة معينة في قيام النحو العربي وبناء كثير من فرضياته: فقد رأى في أطروحته للدكتوراه أن النحو العربي يمثل صورة منسوخة عن النحو اليوناني وليست الفلسفة اليونانية أو المنطق كما افترض "مركس"، وكانت العناصر الموجودة في النحو العربي التي عدها فرستيج نسخا لمثيلاتها اليونانية: مصطلحات الصوت المنطوق والتغير الصوتي، ومصطلح "حركة"، وتعريفات الاسم والفعل، وأمثلة الاسم والفعل، ونظرية أجزاء الكلام، وفكرة الإعراب، وأزمنة الفعل، والنظريات الخاصة بالمصدر، ومفهوم التعدية، ونظام أصول النحو. ورغم صدور أطروحة فرستيج سنة 1977 في كتاب بعنوان واضح الدلالة على التأثر(Greek Elements in Arabic Linguistics Thinking- Brill عناصر يونانية في التفكير اللغوي العربي) فإن أول ترجمة عربية متاحة لهذا الكتاب صدرت في بدايات الألفية الثانية، واللافت بجانب الفجوة الزمنية بين تاريخ صدور الكتاب وترجماته العربية أن فرستيج أصدر سنة 1993 كتابا بعنوان (Arabic Grammar and Qur'anic Exegesis in Early Islam النحو العربي والتفسير القرآني في صدر الإسلام) (شرفت بمشاركة الدكتور جدامي ترجمة الفصل السادس منه وهو الفصل الخاص بالنتائج وبتقديمها نُشر في العدد المزدوج الرابع-الخامس من مجلتكم "مصطلحيات") في هذا الكتاب تنازل فرستيج عن أكثر فرضياته التي تضمنها كتابه الصادر سنة 1977 وجعل مصنفات التفسير القرآني التي سبقت أو عاصرت ظهور الأعمال النحوية مصدرا مهما من مصادر الاصطلاح النحوي العربي، وذكر بخصوص فرضية مركس (الفرضية اليونانية) في تأثير الفلسفة اليونانية في النحو العربي ما نصه (إن صورة البصرة كمقاربة مبتكرة للقواعد ودراسة اللغة تثير السؤال الخاص بقيمة الفرضية اليونانية في إعادة بناء تطور الدرس اللغوي في العالم العربي، ففي الفصول السابقة من هذه الدراسة رأينا أنه في بعض الحالات صارت الفرضيات المبكرة حول الأصل اليوناني لمصطلحات معينة غير مؤثرة على ضوء المعطيات الموجودة في التفاسير المبكرة ... والسؤال الآن هو ما إذا كانت الفرضية اليونانية يجب أن يتم التنازل عنها كلية؟، أو ربما لا تزال تساعد في بيان الغموض الذي يكتنف أصل النحو العربي؟) (فرستيج 200،1993)؛ ومن ثمَّ فالترجمات العربية مع تأخرها عاصرت طرحا مختلفا ومهما أو قل لم تنتبه إليه ولم تشر إليه من قريب أو من بعيد، وهذا ما يجعل حداثتها توهم القارئ العربي بثبات آراء فرستيج أو برسوخ الفرضية اليونانية، وما أحوجنا والحال هذه إلى المتابعة والتنسيق الفردي والمؤسسي للترجمة.

سؤال 6: هل حملت دراسات المستشرقين منظومة مصطلحية جديدة متميزة عن المصطلحيات المتداولة بالتراث النحوي العربي؟ وما مدى تداخل هذه المنظومة مع الرصيد المصطلحي المتداول بالأنحاء الغربية (إغريقية، لاتينية، لغات أوروبية حديثة)؟

الإجابة:

لا يمكن أن نقول إنها جديدة بل هي متميزة ومتمايزة عن الجهاز المصطلحي الواصف في الكتابات العربية التراثية، ولتنظر أخي الحبيب على سبيل المثال في المعجم الذي صنعه كل من جيوم وبوهاز وجمال الدين كولوغلي Guillaume, Bohas and Kouloughli سنة 1992(فرنسي - إنجليزي - عربي) - وأظن أن لكم تاريخا طويلا في التعامل مع مشكلات هذا النوع من المعاجم اللغوية - وتقوم بإجراء عزل أو جرد مجموعة المصطلحات الخاصة بالتحليل النحوي على سبيل المثال وتقوم بدراستها فسترى تلك الفجوة الكبيرة بين مفاهيم مختلفة لمصطلحات وضعت على سطر أفقي واحد يوهم المتلقي بالتكافؤ التام بينها، وانظر أيضا إلى الكتابات الخاصة بتعليم العربية لغير الناطقين بها المكتوبة بأقلام غربية أو عربية تكتب بلغة المتلقي الغربي، وأيضا الترجمات الغربية للنصوص والكتابات النحوية العربية وسترى حينها أن الأمر جدير بالدراسة والبحث عن حلول وآليات محددة لجسر الهوة بين مفاهيم مختلفة ومصطلحات متنوعة، ربما من أسباب هذه الفجوة والتداخل الذي ألمحتم إليه في السؤال اختلاف طبيعة الأنظمة النحوية للغات التي يترجم بها التراث النحوي العربي والنظرية اللسانية السائدة وقت الترجمة، وهذا يذكرني بعبارة "فراش بروكيست Le lit de Procuruste" التي ألمح إليها المستشرق الألماني غرتسفيلد H. Grotzfeld (في محاضرته التي ألقاها بمعهد بورقيبة للغات الحية بتونس وترجمها عن الفرنسية الدكتور عبد الجبار بن غريبة) في تعليقه على بعض جهود الترجمة الغربية للتراث العربي، فبروكيست في الأسطورة الإغريقية قاطع طريق كان يمدد الضحايا على فراش حديدي ثم يقطع ما زاد من أعضائهم عن حدود هذا الفراش أو أنه يقوم بشد ومط أجسادهم كي تغطي مساحة هذا الفراش إذا كانت أحجامهم أقل من فراشه، وعليه أظن أن كثيرا من تعامل الغرب مع التراث يشبه طريقة بروكيست، فتجد في مرحلة معينة من مراحل اهتمام الغرب بهذا التراث أنهم قاموا بتحليله وشرح أدواته الاصطلاحية ومفاهيمه على طريقة اللغة اللاتينية ومصطلحاتهم الموروثة عنها، وربما يعد هذا سببا مباشرا أو غير مباشر في نشأة فرضيات التأثر من ناحية وفي تشويه طبيعة

المصطلحات النحوية العربية ومفاهيمها من ناحية أخرى، بل وفي إقصاء ذلك التراث من عنايتهم بتاريخ التفكير اللغوي واللساني عامة.

سؤال 7: هل يمكنكم إخبار قراء مصطلحيات بنبذة عن مشروعكم العلمي المستقبلي المرتبط بدراسات المستشرقين لقضايا التراث اللغوي عامة والنحوي خاصة؟

الإجابة:

أتطلع بمشيئة الله إلى إصدار كتاب خاص بطبيعة التناول الاستشراقي للمصطلح النحوي العربي، وقد أنجزت منه بالفعل فصلين مهمين، كذا أسعى إلى إعداد كتاب جماعي حول الاستشراق في علاقته بتاريخ اللغة العربية والنحو العربي وصلة هذا التراث باللسانيات المعاصرة، وهنا أود أن استغل هذا الحوار في دعوة الأساتذة المهتمين إلى المشاركة.

- **تشكركم مجلة مصطلحيات على استجابتكم وقبولكم الدعوة، ونتمنى لأعمالكم كل التوفيق**
- شكري الجزيل لكم ولمجلتكم وللقراء المبجلين.